هجرة الأدمغة في ضوء تأثير العولمة والإعلام

هاجر عيدود و عمر عسوس
قسم علم الاجتماع
جامعة 8 ماي 1945 قالمة

الملخّــص:

تعتبر الهجرة البشرية ظاهرة اجتماعية ساعدت على ظهورها واتساعها العديد من العوامل العالمية ذات الدلالة التاريخية، وقد تزايدت أعدادها سنويا بنسب هائلة نظرا لتعدد العوامل الدافعة أو الطاردة وكذلك العوامل الجاذبة أو المستقطبة والمرتبطة أساسا بظاهرة العولمة بصفة عامة، والعولمة الإعلامية بالأخص، لهذا تم تخصيص هذا المقال في دراسة تفاصيل هذا الموضوع من خلال مجموعة من المحاور.

الكلمات المفتاحية: الهجرة، هجرة الأدمغة، العولمة، العولمة الإعلامية.

Résumé :

La migration humaine est considérée comme un phénomène social que divers facteurs mondiaux d'une importance historique ont contribué aussi bien à son émergence qu'à sa magnitude notamment : la découverte du nouveau monde, et le début de la révolution industrielle en Europe qui a donné à la migration vers l'occident l'aspect d'une migration organisée avec une dimension internationale.

Il est sans équivoque que l'intérêt porté au sujet de l'immigration est principalement axé sur la fuite des cerveaux du fait que le phénomène a un impact aussi bien sur les pays d'origine que les pays d'accueil surtout à la lumière du nombre croissant annuellement des immigrants compte tenu de la multiplicité des facteurs de motivation et des facteurs polarisants principalement associés à la mondialisation généralement parlant et la mondialisation des medias et leur impact sur les tendances et aspirations des compétences en particulier, en raison de l'évaluation de leurs conditions comparées à d'autres nationalités.

Ainsi, cet article est alloué à mettre en exergue le phénomène de l'immigration vers les pays de l'occident et de ses effets aussi bien sur les pays d'origine que les pays d'accueil.

Les mots clés: Migration, Fuite des cerveaux, Mondialisation, La mondialisation des médias.

Abstract:

Human migration is a social phenomenon that many of the global factors of historical significance have helped in its emergence and expansion, and its numbers have grown annually by a huge percentage due to the multiplicity of driving or repelling factors also the polarized factors which are associated with the phenomenon of globalization in general and the media globalization In particular. That's why this article has been allocated to the study of the details of this topic through group of chapters.

Key words : Migration, Brain drain, Globalization, Media globalization.

مقدمة :

تم تناول مسألة الهجرة في الكثير من الطروحات والأدبيات، سواء على مستوى الأفراد أو على مستوى الشعوب والأمم باعتبارها تنشأ في مواقف عادة ما تتسم بالتحدي أو الشعور بالتهميش والاغتراب، وربما في مواقف تتسم بحب التميز والطموح للتغيير الإيجابي، لتحدد بذلك أنماط معينة لسلوكات الأفراد، وتكون بذلك أسلوب من أساليب تأكيد الذات الفردية وإثبات الوجود وتحقيق الاستقرار والشعور بالرضا.

غير أن طرح موضوع الهجرة على المستوى الدولي، وبالأخص هجرة الأدمغة، ومن منطلق الحفاظ على خصوصية الهوية الثقافية والوطنية، ينطوي على أراء تتسم بالتباين خاصة في ظل ظاهرة العولمة والإعلام. إذ يعتبر بعض المفكرين والباحثين أن العولمة فِعل يختصر تنوع الهويات عبر العالم في هوية واحدة متجانسة.

ووفقا لهذا الرأي فإن العولمة تعمل على بناء ثقافة واحدة وتسعى إلى إلغاء الحدود والحواجز الثقافية والفكرية والاقتصادية بين الأمم، وتعكس مرحلة جديدة تفرض تلاحم العلاقات وتشابكها على الصعيد العالمي، وتجاوز

الثقافات والاقتصاديات والسياسات المحلية ضمن فكرة أو مشروع المواطن العالمي، وهكذا تتجاوز معنى الهوية الوطنية إلى الهوية العالمية.

ولعل أهم ما يميز العولمة اليوم هو الانتشار الواسع لوسائل الإعلام والاتصال باعتبارها ذات تأثير واسع على اتجاهات وأفكار الأفراد ومن ثم سلوكاتهم لتجعلهم في غالب الأحيان منقادين نحو التقليد الذي ينجر عنه انسلاخ المواطن عن هويته الأصلية وتبنيه خصائص عامة تمثل هوية المجتمع الذي تأثر به، وتجعله يعيش حالة مقارنة بين ظروفه التي يعيشها داخل بلده والظروف التي يطمح إلى عيشها خارج الوطن، وبالتالي تنجر عن هذه العمليات الذهنية سلوكات مهدت لها الفرص ودعمتها. وهذا ما تخشاه غالبية الدول إذ تراه خطرا يهدد مكانتها واستقرار أفرادها ضمن إطارها المكاني أو الجغرافي، وتسعى من خلال مختلف مؤسساتها لتحقيق الثبات الهوياتي ومحاربة كل ما يهدده .

وانطلاقا من كل ما سبق يتوجب علينا الإجابة على السؤال المحوري الذي يمثل مشكلة الدراسة ويخدم الموضوع والمتمثل أساسا في:

***كيف يمكن تناول مسألة هجرة الأدمغة في ظل ظاهرة العولمة وتأثير وسائل الإعلام والاتصال؟**. وسيكون ذلك من خلال ما يلي:

أولا: تاريخ الهجرة البشرية:

الهجرة قديمة قدم المجتمعات، فقد ثبت أن الهجرة سنّة حياتية رافقت كل العصور وساعدت على انتشارها مجموعة من العوامل مثل اكتشاف العالم الجديد (القارة الأمريكية، القارة الأسترالية) وبداية الثورة الصناعية في أوروبا حيث أخذت على إثرهما الهجرة الخارجية شكل الهجرة المنظمة ذات البعد الدولي.

كما كان لاكتشاف وسائل النقل الحديثة وبصفة خاصة الآلات البخارية والطائرات أثر كبير في تشجيع الناس على الانتقال من موطنهم الأصلي إلى أماكن كانت في السابق يصعب الوصول إليها.

وكانت أول الهجرات التي اندفعت نحو العالم الجديد تعود لعوامل إجبارية، مما جعل من هؤلاء المهجَّرين عبيدا هناك لخدمة الأرض والقيام بشؤون الرجل الأبيض وفي القرن الماضي، بسبب نتائج الهجرات الاستكشافية، ظهرت الهجرات السياسية والعسكرية التي قامت بها بعض الدول الأوروبية والأمريكية إلى جنوب المتوسط وأعماق افريقيا، قصد البحث عن موارد إنتاجية جديدة.[1]

أما بالنسبة لأوروبا فكانت الهجرة يومئذ وجهتها نحو العالم الجديد وكانت بأعداد ضخمة خصوصا مع بداية 1840م، وقد وصل عدد المهاجرين من بريطانيا وحدها إلى الولايات المتحدة الأمريكية بين السنوات 1820م و1900م إلى حوالي 25 مليون مهاجر، ثم تتابعت هجرة الأوروبيين بأعداد ضخمة إلى أمريكا بقسميها الشمالي والجنوبي، وقد كانت ثروات العالم الجديد السبب الرئيسي وراء حركة هؤلاء المهاجرين.حيث قدر عدد المهاجرين من أوروبا الغربية نحو العالم الجديد بين سنوات 1885م – 1960م بحوالي 55 مليون مهاجر أي ما يقارب 18% من مجموع سكانها.[2]

---

[1] عبد الله عبد الغني غانم: **المهاجرون–دراسة سوسيولوجية أنثروبولوجية**، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، 2002، ص 15.

[2] بوساحة عزوز: **اتجاهات الطلاب الجامعيين نحو ظاهرة الهجرة الخارجية–دراسة ميدانية بجامعة باتنة**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير علم الاجتماع التنمية، جامعة باتنة، 2007–2008، ص112

وفي النصف الثاني من القرن الماضي أي بعد الحرب العالمية الثانية، التي خلفت وضعا محرجا اقتصاديا للدول الأوروبية نتيجة خروجها من الحرب فاقدة قوتها البشرية، ما جعلها في حاجة ماسة لليد العاملة إذ أصبحت مستوردة لليد العاملة بشكل واضح من مختلف الدول كالدول الأوروبية الأقل تصنيعا، مثل: اليونان، إسبانيا والبرتغال.

وكذا من بلدان العالم الثالث وبصفة خاصة من دول المغرب العربي. وكان عدد المهاجرين يتذبذب إذ يزداد وينخفض تبعا لحاجيات هذه الدول لليد العاملة.

ومع الألفية الجديدة ارتفعت أعداد المهاجرين ارتفاعا لم تبلغه البشرية في جميع مراحل تاريخها فحسب ما تقدره الاحصائيات وصلت أعدادهم في عام 2000 إلى 176 مليون مهاجر، أما في سنة 2006 فقد ارتفعت أعدادهم إلى 191 مليون مهاجر، أي بزيادة بلغت نسبتها 03% من مجموع سكان العالم البالغ تعداده نحو6,5 مليار نسمة، كلهم من عابري الحدود الدولية من أجل الإقامة الدائمة في بلد آخر، أو على الأقل لمدة سنة، بالرغم من الإجراءات الصارمة في الحد من الهجرة الدولية.ففي السنوات الأخيرة وبسبب التطور الحاصل في دول الشمال خاصة، وتراجع الدول النامية، تأثر سكان هذه الأخيرة بالمجتمع الغربي، فالأولى تستحوذ على جميع عوامل الجذب والاستقطاب والثانية تعج بعوامل الطرد، مما خلق موجات كبيرة للهجرة من مختلف الفئات، وذلك لأسباب سياسية واقتصادية واجتماعية سواء بشكل قانوني أو غير قانوني.

لذا فأكبر وأخطر تطور للهجرة في العصر الحالي هو هجرة الكفاءات والعقول من الدول الفقيرة إلى الدول المتقدمة لأهمية هذه الشريحة في المجتمع على المدى القريب والبعيد، خصوصا مع رغبة الدول المستقبلة في

الاستفادة من قدرات هؤلاء، وتدفع بالكثير منهم نحو الاندماج والاستقرار بهذه المجتمعات لتقطع صلتهم بالوطن الأم. [3]

ثانيا: أنواع الهجرة:

لقد تعددت أنواع الهجرة بتعدد معايير التصنيف، فهناك من يصنفها حسب المكان وهناك من يصنفها حسب إرادة القائمين بها، كما أن هناك من يصنفها حسب معيار الزمان، وفي ما يلي يتم توضيح مختصر لهذه التصنيفات.

1- **تصنيف الهجرة حسب معيار المكان:** حسب هذا التصنيف تقسم الهجرة إلى نوعين: هجرة داخلية وأخرى خارجية أو دولية.

* **الهجرة الداخلية:** تعني الهجرة الداخلية انتقال الأفراد والجماعات من منطقة إلى أخرى، وهي تحدث داخل حدود نفس المجتمع كالهجرة من الريف إلى المدينة، أو من مدينة إلى أخرى. وهذا بغية البحث عن فرص أفضل في الحياة.[4] وفي نفس الوقت يمكن تقسيم الهجرة الداخلية إلى قسمين: هجرة من إقليم أو ولاية أو منطقة أو محافظة إلى أخرى داخل البلد الواحد. وهجرة بين إقليمين يحملان نفس الخصائص الإقليمية.[5]

* **الهجرة الخارجية:** تعني ترك الوطن الأصلي إلى وطن جديد مما ينجرّ عنه تغيرات في خصائص السكان، وتكون إما من أجل العمل أو فرار

---

[3] بوساحة عزوز: المرجع السابق، ص 112.

[4] سناء الخولي: **التغيير الاجتماعي والتحديث**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2003، ص 234

[5] علي عبد الرزاق جلبي: **علم اجتماع السكان**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1998، ص 209

من الاضطهاد، أو تطلّعا لغرض أحسن في الحياة، وتنحصر الهجرات الخارجية أو الرئيسية التي شهدها العالم في العصر الحديث في الهجرة الأوروبية إلى أمريكا، والهجرة الأوروبية الأوربية، والهجرة الإفريقية الآسيوية، والإفريقية الأوروبية.[6]

2- **تصنيف الهجرة حسب إرادة القائمين بها:** وتصنف الهجرة في هذا السياق إلى هجرة اضطرارية وهجرة إرادية، سواء كانت بسبل شرعية أو غير شرعية. وهي الهجرة الإرادية، الهجرة الاضطرارية.[7]

3- **تصنيف الهجرة حسب معيار الزمان:** وتقسم إلى هجرة دائمة وهجرة مؤقتة.[8]

إضافة إلى ما سبق هناك الهجرة الطوعية وتحصل بسبب الاختراعات وتجبر العلماء والمثقفين على الهجرة إلى أماكن تحترم كفاءاتهم وقدراتهم وعطائهم، وتسمى هذه الهجرة بهجرة المثقفين أو هجرة الأدمغة. وفي هذا السياق نجد دول العالم الثالث التي تعاني من هذه المشكلة إذ أن الكثير من المثقفين والباحثين والعلماء يهاجرون إلى بلدان غير بلدانهم بغية الحصول على فرص أفضل للعيش، ومناخ يتميز بحرية أكثر في المجال الفكري.[9]

كما أن هناك من يصنف الهجرة إلى عدة أنواع تتمثل في:

---

[6] سناء الخولي: مرجع سبق ذكره، ص 234

[7] علي عبد الرزاق جلبي: مرجع سبق ذكره. ص 210،211.

[8] زوزو عبد الحميد : **دور المهاجرين الجزائريين بفرنسا في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين1919-1930**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر، 1974 ، ص 33.

[9] معن خليل العمر: **التغير الاجتماعي**، دار الشروق، الأردن، 2004، ص 278

الهجرة الفردية، الهجرة المقيدة، الغزو، الإزاحة.[10]

4- أنواع الهجرة الدولية:

تصنف الهجرة الدولية الخارجية إلى أنواع عديدة من أصناف الهجرات من أهم هذه الأصناف:

- **الهجرة السرية:** ولها أسماء عديدة منها: الهجرة غير المشروعة والهجرة الشاذة والهجرة غير المراقبة وغيرها.
- **هجرة رجال الأعمال:** يرتبط هذا الصنف من الهجرة بانتقال رؤوس الأموال من بلد لآخر للاستثمار، وتتسابق الدول الصناعية الكبرى لتشجيع هذا الصنف من الهجرة لضمان انتقال رؤوس الأموال إليها، والدول المستقبلة لرؤوس الأموال هذه تسعى إلى توفير الظروف المشجعة والمحضرة لانتقال رؤوس الأموال إليها.
- **هجرة الكفاءات العلمية:** وتسمى أيضا: هجرة الأدمغة أو نزيف الأدمغة أو هجرة العلماء أو هجرة العقول وغيرها.

وهذا الصنف من الهجرة الدولية يمس أغلى ما تملك الأمم والدول وهي كفاءاتها العلمية. لذلك فإن دول العالم المتطور تسعى جادة إلى جذبها واستقطابها بمختلف الوسائل والإغراءات. وهجرة الكفاءات العلمية لم يكن اتجاهها فقط من الجنوب نحو الشمال، ولكن أيضا بين دول العالم المتطور.[11]

- **هجرة المسترزقين:** هذا الصنف من المهاجرين همهم الوحيد هو البحث عن مصدر رزقهم، ومعظمهم من الأيدي العاملة سواء كانت مؤهلة أو

---

[10] محمد عبيد الزناتي ابراهيم: **الهجرة غير الشرعية والمشكلات الاجتماعية**، المكتب العربي الحديث، الاسكندرية، 2008، ص – ص 145 –ـ 146

[11] أنطوان زحلان: **الطبيعة الشاملة للتحدي الثقافي**، مجلة المستقبل العربي، عدد 263، بيروت، ص 62

غير مؤهلة، وغالبا ما تكون هجرتهم مؤقتة وليست دائمة أي بنية الإقامة المؤقتة.

- **هجرة طلاب العلم:** هي هجرة خاصة بالبعثات العلمية والثقافية والتي تتكون من أعداد من الطلبة ينتقلون فيها إلى بلاد معينة طلبا للعلم والثقافة. وهذه الظاهرة ليست جديدة على المجتمعات البشرية، فقد عرفت منها أصناف منذ فترات عميقة في التاريخ، كهجرة الطلاب الجزائريين وقت الاستعمار إلى الدول العربية أو الأوروبية.[12]
- **نزوح اللاجئين:** هذه الهجرة إجبارية بسبب ظرف من الظروف كالحرب أو الفيضانات، ويمكن أن تكون أعدادا ضخمة، وظروف الحياة فيها تكون مأساوية لأنها غالبا ما تكون مفاجئة وبأعداد ضخمة مما يجعل البلد المستقل غير مهيأ لإسكانهم وإطعامهم، وقد بلغ عدد اللاجئين على المستوى العالمي مع هذه الألفية حوالي 14 مليون إنسان ثلثي هؤلاء اللاجئين مطرودون من بلدانهم لأمد طويل ومع أمل قليل لحل مشكلاتهم.[13]

ثالثا: أسباب هجرة الأدمغة: يقدم "أنطوان زحلان" تفسيرا لهجرة الأدمغة بين قوى دافعة وأخرى جاذبة، حيث أن القوى الدافعة تنشأ في البلد الأصل لأدمغة المهاجرة، والقوى الجاذبة تنشأ في البلد المضيف.

1- القوى الدافعة لهجرة الأدمغة:

وتمثل القوى التي تدفع الأفراد إلى خارج مكان إقامتهم الأصلي ويقسمها أنطوان زحلان إلى أربعة أنواع في الأكثر تختلف تأثيراتها بحسب البلد والزمن وهذه الأنواع هي:

[12] بوساحة عزوز: مرجع سبق ذكره، ص 123

[13] بوساحة عزوز: المرجع السابق، ص 124

- **المحيط السياسي:** وتتمثل أساسا في القمع، الظلم الاجتماعي والديكتاتورية وكذلك انتهاك حقوق الإنسان.
- **محيط العمل والتقدم في المهنة:** إن فرص العمل تتوقف على الطلب بالنسبة للخبرات، ولعل افتقار بعض البلدان إلى سياسة اقتصادية ضرورية، يحول دون استغلال الرأسمال البشري والفكري بفاعلية.[14]
- **أنظمة التعليم العالي:**

إن النظام السائد في التعليم العالي العربي الإجمالي يتميز بالضعف الشديد في البحث والدراسات العليا بعد المتخرجة وكذا صف الإنتاج البحثي، إضافة إلى أن تطوير التعليم الجامعي الرفيع المستوى بطيئا جدا وذلك بسبب أن الدراسات العليا لا يمكن تطويرها قبل توفير اقتصاد قوي يستوعب الباحثين ويوفر لهم سوق للبحث والتطوير[15].

- **السياسات الثقافية:**

الثقافة الحديثة تمتاز بالتعقيد حيث أنها تفرض على العلماء والمدراء والمهندسين وجميع الأطراف الفاعلة العمل معا ضمن منظمات مستعمرة قصد الإنتاج أو الاستثمار في التعليم، لتطوير المنظمات والأعمال، وتفتقر البلدان العربي إلى سياسات الثقافة الملائمة التي تعزز تطوير المعاهد والمنظمات الوطنية.

---

[14] أنطوان زحلان: **هجرة الكفاءات العربية: السياق القومي والدولي**، المستقبل العربي مجلد15، مركز دراسات الوحدة العربية، ع159، بيروت-لبنان، 1992-1993 ص-ص7-8.

[15] أنطوان زحلان: **هجرة الكفاءات العربية: السياق القومي والدولي**، المرجع السابق، ص08

2-القوى الجاذبة: يمكن تحديد القوى الجاذبة في جانبيين أساسيين يمكن تصنيفها في فئتين اثنتين وهما: القوى الموجودة في البلدان الأجنبية والقوى المتولدة في البلدان العربية.

- **القوى الجاذبة: البلدان الأجنبية:** وتتمثل أساسا في:

- توفير فرص عمل تناسب مؤهلات وحاجات المهاجر.
- تسهيلات تربوية تعليمية وصحية ملائمة لأسرته.
- حرية الثقافة والديانة والعادات الاجتماعية.
- السياسة التي تتبعها الولايات المتحدة الأمريكية في جذب ذوي الاختصاص من المهاجرين قد تم اعتمادها كذلك من معظم البلدان الأوروبية وكذلك في كندا واستراليا وفرنسا، فتعمل على إغراء الطلبة العرب في الجامعات الأجنبية، فيتم تلقيهم لعروض مغرية يفتقدون لها في بلادهم الأصلية.

- **القوى الجاذبة: (الدول العربية)**

منذ مطلع الخمسينيات مثلت الأقطار العربية مركزا جيدا للجذب نتيجة إنتاجها للنفط، وارتفاع مداخيلها من وراءه فتم استقطاب خريجي الجامعات لملأ مراكز حكومية، والمدارس، والمستشفيات، والجامعات، والشركات والاستثمارية والمقاولات، من خلال توفير ظروف عمل ملائمة، فاستجابت كفاءات عديدة لهذه القوى الجاذبة أغلبها من دول: مصر فلسطين، الأردن، سوريا ولبنان.[16]

كما يمكن إضافة عاملين مستقلين عن باقي العوامل السابقة الذكر وهما:

---

[16] أنطوان زحلان: **هجرة الكفاءات العربية: السياق القومي والدولي**، مرجع سبق ذكره، ص-ص 79-80 .

- **العوامل الثقافية الطاردة للعقول:**

يشكل نقص التقنية في الدول العربية وعدم توفرها بما يخدم العقول، والكفاءات العربية في مجالات عملها، وعدم قدرة الدولة على توفيرها بشكل كاف، عاملا طاردا للكفاءات العربية قصد التعليم في الخارج، والتدريب على تلك التقنيات والأجهزة وبالتالي يتعرّض الشخص لإغراءات متنوعة ترضي طموحاته ورغباته، فيستقر بتلك البلاد ويتأثر بثقافاتها.

- **العوامل الشخصية:(طموحات الكفاءات وضغوط الإحباط)**

لكل فرد أو شخص طموحات وتطلعات يسعى لتحقيقها، سواءً على المستوى الاقتصادي أو الاجتماعي أو الفكري والعلمي، وهذه الطموحات تمارس ضغطا على صاحبها فيسعى لتحقيق الإشباع إلاّ أنه لا يستطيع توفيره نتيجة ظروف تخص موطنه الأصلي ليعكس لديه شعورا بالإحباط، يتحول بمرور الزمن إلى السعي وراء فرص أفضل لإشباع طموحاتهم وتحقيقها فيكون المهجر ملاذهم ليكون بلد المهجر البديل الأفضل أمام هؤلاء.[17]

رابعا: العولمة الإعلامي وهجرة الأدمغة:

ليس ببعيد عن الأسباب السابقة الذكر المتعلقة بهجرة الأدمغة توجب علينا مناقشة ظاهرتي العولمة بصفة عامة والعولمة الإعلامية بصفة خاصة وتأثيرهما على ظاهرة هجرة الأدمغة، وقصد التفصيل في ذلك توجب علينا في البداية، التطرق لمفهومي العولمة والعولمة الإعلامية.

إن صياغة تعريف دقيق للعولمة تبدو مسألة شاقة، نظرا لتعدد تعريفاتها، والتي تتأثر أساساً بخلفيات الباحثين الأيديولوجية، واتجاهاتهم إزاء

[17] السيد علي شتا: **هجرة العقول العربية والتخطيط لاستقطابها في الدول العربية**، المكتبة المصرية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، 2009. ص-ص 31-33

العولمة رفضاً أو قبولاً، فهي تصف وتعرف مجموعة من العمليات التي تنتشر على مستوى العالم، تتضمن تعميقاً في مستويات التفاعل، والاعتماد المتبادل بين الدول والمجتمعات التي تشكل المجتمع العالمي.

لذا لابد من الإشارة إلى أن أغلب التعريفات والاجتهادات التي عملت على تبيين مفهوم ودلالة العولمة والتي تعددت إلى ما يلي:

1 -البعض من تلك الاجتهادات اقتصرت على وصف هذه الظاهرة على أنها عملية أمركة العالم، أي نشر الثقافة الأمريكية بحيث تغلب على المجتمعات الثقافية الأخرى.

2 -يراها البعض الآخر على أنها الوجه الآخر للهيمنة الإمبريالية على العالم تحت الرعاية المنفردة للولايات المتحدة الأمريكية، أي أن العولمة عملية يراد منها نشر مبادئ النظام الاقتصادي الرأسمالي، وفرضه على عامة الأساليب الاقتصادية التي تتبعها المجتمعات الأخرى.

3- يذهب فريق ثالث للقول بأن العولمة ظاهرة تنحو بالمجتمعات الإنسانية قاطبة نحو التجانس الثقافي وتكون الشخصية العالمية ذات طابع الانفتاح على ما حولها من مجتمعات وثقافات مختلفة، ويعتمد أنصار هذا الفريق على جملة التطورات الهائلة الحادثة في قطاع الاتصالات والمواصلات بين المجتمعات الإنسانية المختلفة، والتي أسهمت بشكل كبير في نشر ثقافات المجتمعات بخاصة المتقدمة والتي تصبو المجتمعات النامية بلوغ مستوى تطورها الصناعي والاقتصادي والعلمي.[18]

غير أن العولمة كما ينبغي أن تكون، هي كما عرفها الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي:" هي توظيف التقدم العلمي التقني المعاصر لتحقيق

[18] **العولمة وأثرها على التعليم العالي:**
http://www.novapdf.com.1430-11-26

الأمن والسلام العالميين، والسعي لتحقيق الرفاهية لجميع دول العالم، وبناء علاقات هذه الدول على أساس الاعتراف بالتعددية الثقافية والخصوصية الدينية والحضارية".[19]

في حين أن **العولمة الإعلامية** هي سلطة تكنولوجية ذات منظومات معقدة لا تلتزم بالحدود الوطنية للدول وإنما تطرح حدودا فضائية غير مرئية ترسمها شبكات اتصالية معلوماتية على أسس سياسة واقتصادية وثقافية وفكرية لتقييم عالما من دون دولة ومن دون أمة ومن دون وطن وهو عالم المؤسسات والشبكات التي تتمركز وتعمل تحت إمارة منظومات ذات طبيعة خاصة وشركات متعددة الجنسيات يتسم مضمونها بالعالمية والتوحيد على رغم تنوع رسائلها التي تبث عبر وسائل تتخطى حواجز الزمن والمكان واللغة لتخاطب مستهلكين متعددي العقائد والرغبات والأهواء.

وهناك من عرفها بأنها عملية تهدف إلى التعظيم المتسارع والمذهل في قدرات وسائل الإعلام والمعلومات على تجاوز الحدود السياسية والثقافية بين المجتمعات بفضل ما تقدمه تكنولوجيا الحديثة والتكامل والاندماج بين هذه الوسائل بهدف دعم وتوحيد ودمج أسواق العالم وتحقيق مكاسب لشركات الإعلام والاتصال والمعلومات العملاقة وهذا على حساب دور الدولة في المجالات المختلفة.

إن عولمة الإعلام هي سمة رئيسية من سمات العصر المتسم بالعولمة وهي امتداد أو توسع في مناطق جغرافية مع تقديم مضمون متشابه وذلك كمقدمة لنوع من التوسع الثقافي نتيجة ذلك التطور لوسائل الإعلام

---

[19] بن صغير مراد: **أهداف العولمة وأثرها على حقوق الإنسان والسلام العالمي**: مجلة البحوث والدراسات العلمية، جامعة الدكتور يحيى فارس، المدية، ع–05، جويلية2011. www.univ-medea.dz/fac/R/Revues/Revue05.PDF

والاتصال، التي جعلت بالإمكان فصل المكان عن الهوية، والقفز فوق الحدود الثقافية والسياسية، والتقليل من مشاعر الانتماء إلى مكان محدود، ومن الأوائل الذين تطرقوا إلى هذا الموضوع عالم الاجتماع الكندي مارشال ماكلوهان، حيث صاغ في نهاية الستينات ما يسمى بالقرية العالمية.[20]

وعادة ما تناقش العديد من القضايا بين البلدان المتقدمة والدول النامية، حيث تحتل قضية الهجرة أكبر محل من القضايا المتداولة، بفعل ارتباطها بعدة جوانب سياسية اقتصادية واجتماعية، فسوء الأحوال السياسية والأوضاع الاقتصادية تدفع بالكثير من الأفراد نحو الهجرة من الدول النامية باتجاه الدول المتقدمة، هذه الأخيرة التي ترى في المهاجرين عبئا على اقتصادها خاصة اليد العاملة غير الماهرة، فلجأت إلى إتباع سياسات تحدّ من الهجرة وإليها، عن طريق تقديم معونات أو عقد اتفاقات استثمار وتجارة مع البلدان النامية.

وقد كان لظهور العولمة وانتشارها الواسع عبر العالم، الأثر الكبير على الهجرة، ففي الوقت الذي تتم فيه إزالة الحواجز القانونية والمادية، أمام تقدم رؤوس الأموال والسلع والخدمات تواجه الهجرة الدولية تحديات وهواجس أمنية وحضارية وسياسية. خاصة فيظل تكتل الاتحاد الأوروبي لمنع الهجرة.

وقد تأثرت الهجرة في الدول النامية، بما في ذلك الدول العربية بأحداث لها علاقة بالعولمة منذ سنة 1990. فحرب الخليج التي حدثت سنة1991 لها علاقة بالعولمة في مرحلتها الجديدة. حيث كانت الهجرة نحو الخارج أكثر تأثرا بالحرب، وفي حرب الخليج الثانية، عاد نحو 1.2مليون

[20] أدهم عدنان الطبيل: **الإعلام الحديث في ظل العولمة**،2007،
pulpit.alwatanvoice.com/content-89911.htm

عربي إلى بلادهم خاصة اليمن ومصر والأردن، وتغيرت تيارات الهجرة وتضاءلت الهجرة من البلدان العربية وأصبحت تلك الحرب وتحالفاتها مرجعا لتحديد تيارات الهجرة بعد ذلك.

أيضا كان لأحداث (11-9)، آثار سلبية على الهجرة العربية والإسلامية، خاصة باتجاه أمريكا واستراليا وبريطانيا وكندا، والبلدان التي تسعى للانضمام إلى محيط الاتحاد الأوروبي. كما كان للتحول العميق الذي تمثل في انتقال مواقع الشركات الكبرى نحو الأماكن التي تتوافر فيها الأيدي العاملة الرخيصة، الأثر الكبير في فتح أبواب الهجرة وخاصة هجرة الأدمغة من البلدان النامية إلى البلدان المتقدمة.[21]

خامسا: هجرة الأدمغة من بعض البلدان العربية

تعتبر مصر من أكثر الدول العربي التي غادرتها كفاءاتها العلمية، حيث يقدر الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء المصريين عدد الكفاءات التي هاجرت بـــ 824 ألف مهاجر، من بينهم2005عالم، حسب إحصاء صدر عام2003م كما تشير الإحصائيات إلى أن مصر قد قدمت حوالي 60% من العلماء العرب والمهندسين إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

كما يعتبر العراق من أكثر الدول العربية التي عانت ولا تزال تعاني هجرة كفاءاتها العلمية بسبب تأزم وضعها السياسي والأمني، إذ تجلت البدايات الأولى لهجرة هؤلاء 1998 حيث هاجر نحو 7350عالما إلى دول عربية وأخرى أجنبية نتيجة الوضع السياسي والأمني، وتقدر نسبة أساتذة

[21] أحمد الخطيب: **التعليم العالي الإشكاليات والتحديات**، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، أربد، الأردن، ط1، 2009، ص11

الجامعات بـــ 67% و23% من العاملين في مراكز أبحاث علمية، هذا حسب تقرير منظمة العمل العربي الصادر عام 2007.

أيضا تعتبر دول المغرب الغربي أكثر تصديرا للعقول العربية وتهاجر الكفاءات عادة باتجاه دول أوروبا وبالأخص فرنسا. وتشير التقارير والدراسات أن غياب ونقص مناصب الشغل المناسبة للخريجين وذوي الكفاءات العالية يفسح المجال لهجرة الأدمغة المغربية، لتؤثر بذلك على مسار التنمية الاقتصادية والمغربية في دول المغرب وتؤثر على تركيبه الهيكلي للسكان.

وهنا نشير إلى أحد مراكز الأبحاث الذي يستقطب أكثر من1600 إطار مغاربي من بينهم 700مغربي، و500 جزائري و400 تونسي، وهذا بعكس خطورة الظاهرة وتناميها.[22]

ولقد ساهمت العديد من العوامل في بروز فئة الكفاءات في تركيبة الجالية المغتربة، لترتبط بالتغيرات الجديدة كبروز فرص التعلم والتكوين بالخارج واتساع فضاء الاستثمار المرتبط بالمعرفة في دول الاستقبال وكذا ما توفره من آفاق في مجال البحث العلمي والارتقاء الاجتماعي، فقد بلغ عدد الكفاءات التونسية المهاجرة حوالي7789 كفاءة عالية لسنة 2007، يتوزعون على المجالات الإستراتيجية المرتبطة بالمعرفة.

[22] وردة صالحي: **التحويلات المالية للمهاجرين- دراسة مقارنة بين الجزائر- تونس والمغرب**، رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير اقتصاد دولي، جامعة منتوري قسنطينة، 2011، ص-ص 81-82

وتستقبل البلدان الأوروبية لوحده 61,4% من مجموع الكفاءات والإطارات التونسية لتتوزع نسبة 38,6% بين الولايات المتحدة وكندا ودول الخليج.[23]

سادسا: هجرة الأدمغة الجزائرية:

باعتبار ظاهرة هجرة الأدمغة ظاهرة عالمية تمثل مصدر قلق لدى الكثير من الدول ما دعا إلى عقد الكثير من المؤتمرات وإجراء العديد من الدراسات قصد التحكم بالظاهرة.

إن إحصائيات هجرة الكفاءات الجزائرية مصدرها البلدان الصناعية والولايات المتحدة الأمريكية فالبلدان العربية والجزائر تعد فقيرة من حيث الإحصائيات والمعلومات المرتبطة بالظاهرة، وتشير الإحصائيات الحديثة أن هناك حوالي 30 ألف إطار غادروا البلاد خلال الخمس سنوات الممتدة في2007م حتى 2011م.

ورأى رئيس الهيئة الجزائرية للترقية الصحية وتطوير البحث السيد مصطفى خياطي لسنة2005م أن ثمة أسباب مباشرة لانتشار الظاهرة يلخصها في: دوامة المشاكل الاجتماعية، الأجور الزهيدة إضافة إلى قلة فرص العمل أمام حاملي الشهادات خاصة أن البطالة وصلت في مرحلة التسعينيات إلى30% ما دفع بالكفاءات إلى الهجرة نحو البلدان التي تحتوي فضاءات ملائمة للبحث العلمي والعيش اللائق، ويؤكد مصطفى خياطي أن

[23] وردة صالحي: المرجع السابق، ص-ص 83- 84

عودة هؤلاء إلى بلادهم ضئيلة، ودعا إلى وضع إستراتيجية جديدة للتعامل مع هذه الكفاءات من خلال دعوتها إلى المساهمة في مسار تنمية البلاد.[24]

وخلال المؤتمر 21 للمجلس الوطني الاقتصادي والاجتماعي لعام 2002 خص هذا الأخير إلى حوالي 400ألف إطار هاجر من البلاد خلال سنوات 1992-1996 وهذا العدد يعادل ما تكوّنه الجامعة الجزائرية خلال 10سنوات.

وقد تم في السنوات القليلة الماضية توظيف 300خبير في الإعلام الآلي بألمانيا، وفي فرنسا يوجد أكثر من 700طبيب جزائري في المستشفيات الفرنسية من أصل 10000طبيب أجنبي، ويتمركز في العاصمة لوحدها حوالي 200طبيب منهم 70 بدرجة بروفسور.

والجدول التالي يمثل إحصائيات هجرة الكفاءات العربية إلى الولايات المتحدة الأمريكية.[25]

الدولة	أخصائي	مهندس	علوم طبيعية	علم الاجتماع	طبيب	ممرضة	المجموع
مصر	2716	564	231	32	171	25	9315
لبنان	1211	277	95	20	169	97	8191
الأردن	886	117	47	11	27	42	9548
العراق	794	165	67	04	45	13	4192

[24] لبيب الويزة: مرجع سبق ذكره، ص-ص 93-94.

[25] لبيب الويزة: **أسباب هجرة الكفاءات الجزائرية إلى الخليج العربي-دراسة لعينة من المهاجرين إلى دولتي قطر والإمارات المتحدة في الفترة 1990-2010**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع تخصص العالة والسكان، جامعة الجزار بوزريعة 2، 2011،2012، -ص-ص 93-94.

المغرب	238	18	03	00	14	09	2473
تونس	139	04	06	01	13	02	497
الجزائر	113	09	02	06	01	01	981
المجموع	6097	1154	451	74	440	189	35197

سادسا: أثر هجرة الأدمغة على بلدان الأصل:

إنّ هجرة الكفاءات تؤدي إلى خسائر يتكبدها البلد الأصل إذ لا تتوقف هذه الخسائر عند الأضرار والمشكلات الاقتصادية، فهجرة أي شخص يمتاز بالكفاءة ينجم عنها خسارة أولية للبلد الأصل تكمن في التكلفة التاريخية التي يتكبدها المجتمع في تكوين وتعليم المهاجر، حتى ووقت الهجرة في حين يقابل هذا حصول بلد المهجر على مكسب أولي يعادل التكلفة التي تم ذكرها سابقا، هذا نهيكا عن إنتاجية الفرد المهاجر لفائدة البلد المستقبل من الناحية الاقتصادية، في حين تزيد قيمة خسارة البلد الأصل إذا ركزّنا على فئة المهاجرين ذوي الكفاءات والمهارات العالية، فالكثير من الدول النامية تفتقد للإطارات والكفاءات الدافعة لعجلة التنمية. خاصة في ظل خصائص الاقتصاد الجديد المعتمد على المعرفة كما أن هجرة والإطارات يؤدي بالضرورة إلى وجود عجز في إنتاج كفاءات محلية تمتاز بالجودة والنوعية اللازمين، أي أنّ الهجرة وخاصة هجرة الأدمغة والكفاءات تؤدي في الأجل المتوسط والطويل إلى تدهور وانخفاض الرصيد المعرفي، ومن ثم تدني الناتج المحلي.

ويمكن أن نضيف إلى الآثار السلبية لهجرة الكفاءات، صعوبة التحكم في نسق الأجور في سوق العمل المحلي وضعف السياسات الاجتماعية، نظرًا لإدخال الدخل المرتفع المتوقع عن طريق الهجرة.

كما أن هجرة الكفاءات تستدعي بالضرورة وبهدف سد الفراغ المعرفي إلى استقدام كفاءات أجنبية لدعم التنمية الوطنية ما يسبب تكلفة مادية واجتماعية ضخمة.[26]

خاتمة:

وفي الأخير وكخلاصة وإجابة على مشكلة البحث: كيف يمكن تناول مسألة هجرة الأدمغة في ظل ظاهرة العولمة وتأثير العولمة الإعلامية؟.

وبعد هذا العرض المختصر والمبسط للعولمة والعولمة الإعلامية خاصة، وتأثيرها على ثقافة وهوية الأفراد المحليين وبالتالي اتجاهاتهم نحو الوطن ورغباتهم في الهجرة بما في ذلك هجرة الأدمغة والكفاءات العلمية، نلاحظ أن العولمة فرضت ضرورة التعايش المستمر لمختلف الشعوب والحضارات مما يشكل مصدرا للتفاهم والصراع في آن واحد، فالاحتكاك الثقافي الذي دعمته مضامين العولمة الإعلامية كوسائل الإعلام والاتصال خاصة، خلق وعيا عميقا لدى مختلف الأفراد نتيجة مقارنتهم للوضع الاقتصادي والاجتماعي والعلمي البحثي خاصة وهذا ما يدفعهم لانتهاج سبيل الهجرة الخارجية من أجل تحسين أوضاعهم وتحقيق وكذا الاستفادة من خبرات وتجارب الدول المتقدمة بما ينفع سياسات الدول النامية ويطورها.

*** قائمة المراجع حسب الترتيب الألفبائي:**

1- أحمد الخطيب: **التعليم العالي الإشكاليات والتحديات**، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، أربد، الأردن، ط1، 2009.

[26] ربيعة خليفة الصرماني: **هجرة الكفاءات العلمية من افريقيا من منظور استراتيجية لتطوير التعليم العالي**، مجلة دراسات، العدد11، السنة الثالثة، 2002، ص102-103

2- أدهم عدنان الطبيل: الإعلام الحديث في ظل العولمة،2007.
pulpit.alwatanvoice.com/content-89911.ht

3- أنطوان زحلان: **الطبيعة الشاملة للتحدي الثقافي**، مجلة المستقبل العربي، ع 263 ، بيروت.

4- أنطوان زحلان: **هجرة الكفاءات العربية: السياق القومي والدولي** ، المستقبل العربي مجلد15، مركز دراسات الوحدة العربية،ع159، بيروت-لبنان، 1992-1993

5- بن صغير مراد: **أهداف العولمة وأثرها على حقوق الإنسان والسلام العالمي:** مجلة البحوث والدراسات العلمية، جامعة الدكتور يحيى فارس، المدية، ع-05، جويلية2011.
www.univ-medea.dz/fac/R/Revues/Revue05.PDF

6- بوساحة عزوز: **اتجاهات الطلاب الجامعيين نحو ظاهرة الهجرة الخارجية- دراسة ميدانية بجامعة باتنة**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير علم الاجتماع التنمية، جامعة باتنة، 2007-2008.

7- توماس سنتش ، **الاقتصاد السياسي للتخلف** ، ت: فالح عبد الجبار، دار الفرابي، بيروت، 1978.

8- ربيعة خليفة الصرماني: **هجرة الكفاءات العلمية من افريقيا من منظور استراتيجية لتطوير التعليم العالي**، مجلة دراسات، العدد11، السنة الثالثة، 2002.

9- زوزو عبد الحميد : **دور المهاجرين الجزائريين بفرنسا في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين1930،1919**. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر .

10- سناء الخولي: **التغيير الاجتماعي والتحديث**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2003.

11- السيد علي شتا: **هجرة العقول العربية والتخطيط لاستقطابها في الدول العربية**، المكتبة المصرية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، 2009

12- عبد الله عبد الغني غانم،المهاجرون-**دراسة سوسيولوجية أنثروبولوجية**، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، 2002.

13- عبد المجيد علاونة: **العلاقة بين الإعلام المرئي والعولمة**، فلسطين 2003.
www.t1t.net/download/130.doc

14- علي عبد الرزاق جلبي: **علم اجتماع السكان**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1998.

15- لبيب الويزة: **أسباب هجرة الكفاءات الجزائرية إلى الخليج العربي-دراسة لعينة من المهاجرين إلى دولتي قطر والإمارات المتحدة في الفترة 1990-2010**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع تخصص العالة والسكان، جامعة الجزار بوزريعة 2، 2011،2012.

16- مالك بن إبراهيم الأحمد : **العولمة في الإعلام**،

fac.ksu.edu.sa/.../%20الإعلام-في%20-%20مالك%20د%20الأحمد.doc

17- محمد عبيد الزناتي ابراهيم: **الهجرة غير الشرعية والمشكلات الاجتماعية**، المكتب العربي الحديث، الاسكندرية، 2008.

18- معن خليل العمر: **التغير الاجتماعي** . دار الشروق . الأردن . 2004.

19- وردة صالحي: **التحويلات المالية للمهاجرين- دراسة مقارنة بين الجزائر- تونس والمغرب**، رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير اقتصاد دولي، جامعة منتوري قسنطينة، 2011.

20- **العولمة وأثرها على التعليم العالي**: 26-11-1430 .

http://www.novapdf.com